



فهد الرومي

أستاذ التفسير في جامعة الملك سعود

في حوار مع الفرقان



حاوره: زهير ريلات

- أدعو الباحثين إلى دراسة "البدхийات في القرآن الكريم"، وهو موضوع يحتاج إلى معرفة وتمكّن من علم البلاغة وأسرارها
- إن استقراء الأحداث وتاريخ أمتنا يؤكد أنها مرت بحالة أسوأ مما هي عليه الآن، ولكن القرآن كان هو منقذها من كل ذلك
- الإعجاز العلمي حقيقة قرآنية تنبئ عن واقع القرآن، أما التفسير العلمي فهو واقع المفسر وليس القرآن

التعليمية في وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم)، حيث شارك في عدد من اللجان التعليمية، وفي تأليف عدد من المقررات الدراسية في التعليم العام وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الكبار ومحو الأمية، وشارك في وضع بعض المناهج والمفردات لمقررات الكليات، وفي مناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وتحكيم البحوث المقدمة للنشر أو للترقية، وله مشاركات في الإذاعة والصحافة والتلفزة، كما شارك في العديد من المؤتمرات في عدة دول عربية وإسلامية.

ومن مؤلفاته عدا الرسائل العلمية: خصائص القرآن الكريم، دراسات في علوم القرآن الكريم، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الصلاة في القرآن الكريم، قصة عقيدة، البدهيات في القرآن الكريم (دراسة نظرية)، البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم (دراسة استقرائية)، التفسير الفقهي في القيروان، منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف الهجائية المقطعة، مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها، قول الصحابي في التفسير الأندلسي، تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن، تحريف المصطلحات القرآنية في القرن الرابع عشر.

الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي.. سعدنا به حين وفد علينا للمشاركة في المؤتمر القرآني الثاني الذي أقامته جمعية المحافظة على القرآن الكريم في شهر شعبان/ آب الماضي، وقد سبقه ذكره العطر وصيته الندي بسنوات - خاصة في الأوساط الجامعية والمجالس العلمية - مفسراً رائداً ومُتخصّصاً في الاتجاهات الحديثة في التفسير، وكان لا بد من اغتنام فرصة اللقاء به، فكان هذا اللقاء الذي طوّفنا فيه حول بعض القضايا التي تهم المتخصصين والمهتمين بتفسير كتاب الله عز وجل..

وُلِدَ ضيفنا في الرياض عام (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، وفيها درس جميع المراحل التعليمية، وتخرّج في كلية الشريعة عام (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، ثم حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين عام (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، وكان عنوان الرسالة: (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير)، وهي مطبوعة، ثم حصل على درجة الدكتوراه أيضاً من كلية أصول الدين عام (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، وكان عنوان الرسالة: (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر)، وهي مطبوعة في ثلاثة مجلدات. وفي مجال العمل الوظيفي فقد تقلّب ضيفنا في عدد من الوظائف



بذلك قلوباً لا تعرف الإيمان، ونُرسخ الإيمان في قلوب مؤمنة. وهذا المسلك مسلك زلق يحتاج إلى أناة وروية؛ فالإنسان فيه لا يتكلم عن حد علمه، بل هو يتكلم -حسب اعتقاد مستمعيه- عن مُقررات قرآنية؛ لذا ينبغي على المفسر أن يدرك ذلك ويعيه، وليحذر من القول بلا علم، فإنما هي الرواية عن الله، وعليه أن يختار العبارات الدقيقة، ولا يبالغ في تقرير ما لم يثبت.

ولذا وضع العلماء شروطاً للتفسير العلمي وأرى أن من أهمها:

١. أن لا تطفئ تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن الكريم -وهو الهداية-؛ فتصبح هذه العلوم من الركام الذي يُثقل كاهل الهداية القرآنية، كما أشرت في جواب السؤال السابق.
٢. أن يُراعى في ذكر هذه المباحث تعميق الشعور الديني للمسلم والدفاع عن العقيدة الإسلامية.

٣. أن لا تُذكر هذه المسائل على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تُذكر لتوسّع مدلول النص القرآني، وللاستشهاد بها على وجه لا يُؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني.



القرآن وهو يشعر أن الله يخاطبه ويناجيه؛ فكان تحت هذا الشعور يتحول إلى طاقة قرآنية يهون تحتها كل عبء، ويتحطم دونها كل عائق؛ فتحول الجيل إلى جيل قرآني فريد، كيف لا ورسوله ﷺ قدّم النموذج الأكمل للتخلّق بالقرآن حين قالت زوجته عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن".

إن قراءة القرآن الصحيحة تحتاج إلى أن نزيل هذا الركام من المعاني التي تعوق اندحار شرارة الطاقة وتقيدها، وقد حاولت بعض المدارس التفسيرية ذلك إلا أن بعضها يخرج من ركام ويهيل ركاماً آخر.. نجد بعض هذه المدارس تُحذّر من رواية (الإسرائيليات) وتُشنع على قائلها، ثم نجدها تفرق في النقل من التوراة والإنجيل مباشرة، ومنهم من أغرق التفسير بالمباحث الفقهية أو البلاغية أو التفسير العلمي!

وهذه المدرسة (مدرسة محمد عبده) كغيرها من المدارس لها إيجابيات ولها سلبيات؛ فمن مدح نظر إلى الإيجابيات، ومن ذمّ نظر إلى السلبيات، ونحن هنا نتحدث عن المنهج لا عن الأفراد. كما أن للمدرسة أثر ظاهر في تجديد الفكر الإسلامي بشكل عام والتفسير بشكل خاص، إلا أن التجديد ينبغي أن يلتزم بضوابط، وأن يُحدّ له حدٌ، وإلا خرج إلى التغيير والتبديل، وهذا وذاك هو ما حدث من بعض تلاميذ هذه المدرسة.

الفرقان: من اتجاهات التفسير التي ظهرت في العصر الحديث؛ الاتجاه العلمي؛ أي تفسير القرآن تفسيراً علمياً وفق معطيات العلم الحديث. ما رأيكم فيه، وما الشروط التي يجب الأخذ بها حتى يكون مقبولاً، وما الفرق بين مصطلحي الإعجاز العلمي والتفسير العلمي؟

د. الرومي: مخاطبة الناس بما يعرفون أصل من أصول الدعوة، ويتسع نطاق المعرفة هذا ليشمل اللغة التي بها يتكلمون، والعلوم التي يدركون، والأعراف والعادات والعقائد التي يعتقدون؛ ولذا جاء القرآن بلسان عربي مبين، ودعاهم إلى النظر إلى الإبل كيف خلقت؟ ولم يدعهم إلى النظر إلى الفيلة والزرافات وإن كانت الدعوة عامة.

لذا فإن على الداعية أن يخاطب كل قوم بلسانهم ومداركهم ومعارفهم، والعصر الحديث عصر نهضة علمية واختراعات واكتشافات صناعية وطبية وفلكية وغير ذلك؛ ومن ثمّ على دعاة العصر ومفسري القرآن الكريم منهم أن يسلكوا أقرب الطرق الممكنة لإقناع البشرية بهذا القرآن؛ فإذا كانت الاكتشافات العلمية سبيلاً إلى ذلك -وفي القرآن ما يدل عليها- وفي كشف ذلك إظهار لمكانة القرآن ومنزلته؛ فلا ضير في ذلك، بل هو مما ينبغي لنجذب



وتجد تمامها وكما لها وأجزاءها في آيات ومواضع أخرى، وهذا التكامل في الدراسة القرآنية إنما يتحقق بالتفسير الموضوعي.

ولا غنى للتفسير الموضوعي عن التفسير التحليلي؛ فهو يقوم عليه ويستند إليه، ولا يمكن الوصول إلى التفسير الموضوعي إلا بعد تجاوز التفسير التحليلي والمرور به والاستفادة منه، ثم الوصول إلى الدراسة الشمولية للموضوع، وهو ما نسميه (التفسير الموضوعي).

الفرقان: قال الزمخشري:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف رغم ما قد يقال من تحفظ على ثنائه على "تفسيره" رحمه الله، إلا أن كلامه يدل على كثرة المصنفات في التفسير. من بين هذا الكم الهائل من كتب التفسير، ما هي التفاسير التي تنصح بقرائها... أولاً بالنسبة للمتخصصين في علم التفسير، ثم بالنسبة لغير المتخصصين؟

د. الرومي: جرى كثير من العلماء السابقين على الثناء على مؤلفاتهم وتفردها عن غيرها وتفوقهم على الآخرين وسبقهم لهم أحياناً، وتجاوز كثير منهم ذلك إلى اختيار أسماء لمؤلفاتهم فيها ثناء وإعجاب لا يخفى..

وهذا يرجع لمفاهيم عصورهم؛ فلم يكن ذلك عندهم معيباً. ولا أستطيع أن أحدد تفسيراً واحداً يصلح لكل الناس؛ فالناس ذوو أمزجة وطبائع مختلفة فهم يختلفون في الأطعمة والأشربة والألبسة والمذاقات فكل مذاقه، وفي العلوم كذلك منهم من يميل إلى الفقه ومنهم من يميل إلى التاريخ أو الأدب أو علم البلدان أو غير ذلك.

أما في التفسير فمن أراد أن يستلهم نصوص القرآن ومعانيها ودلالاتها وأحكامها فدونه "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير رحمه الله تعالى، ومن أراد أن يقتفي ظلال النصوص القرآنية ويحلل في آفاقها ويسير في أجوائها ويستشق نسيمها فدونه "الظلال" لسيد قطب رحمه الله تعالى، ومن أراد أن تبهره بلاغة القرآن وتشده فصاحته وتسلبه لبه دلالات ألفاظه ومعانيه فدونه "التحرير والتنوير" لابن عاشور رحمه الله تعالى.

وفي أول هذه التفاسير الثلاثة - أعني تفسير ابن كثير - متسع للمتخصص وغير المتخصص.

الفرقان: هل من نصيحة تقدمونها لطلبة العلم، وخاصة طلبة التفسير وعلوم القرآن؟

د. الرومي: في القرآن لأهل القرآن غنى عن كل نصيحة إلا أن تكون النصيحة للحث على إدراك هذا المعنى؛ فعليهم أن يتوروا القرآن بإعمال الذهن فيه وتدبره؛ فإنه كنز لا يفنى، وهو مآدبة الله؛ فتعلموا من مآدبة الله ما استطعتم.

وأستغفر الله مما في قلبي من الخطأ والزلل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كما ينبغي على المفسر - وهذا مهم - أن يستعلي بالقرآن؛ فلا يستجدي موافقة النظريات العلمية لآياته فيكف - إن لم نقل يتلاعب - بالنص القرآني حتى يوافق تلك النظرية أو حتى الحقيقة العلمية أو ما نحسبه حقيقة؛ فالقرآن هو الأصل الذي نحتكم إليه ونرجع، وإعجازه ومكانته لا يتوقف على موافقة نظرية أو مخالفتها، بل هو ثابت قطعاً لا مرأ فيه ولا شك، ومن ثم فلسنا بحاجة ضرورة إلى هذا فضلاً عن التكلف فيه.

وهذا ما نريده في بيان الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي؛ فالإعجاز العلمي حقيقة قرآنية تنبئ عن واقع القرآن؛ إذ لا يشك مؤمن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقة علمية أبداً؛ لأن القرآن الكريم كلام الله العالم بحقائق العلوم، والخالق للكون والعالم بأسراره؛ فلا يمكن أن يخفى عليه شيء من أسرار، ولا يمكن أن يخالف كلامه علمه، أما التفسير العلمي فهو واقع المفسر وليس القرآن؛ فهو حسب فهم المفسر وإدراكه للنص القرآني والنظرية أو الحقيقة العلمية، وقد يصيب وقد يخطئ.

ولذا اقتصر بعض العلماء على الحد الأول؛ حد الإعجاز العلمي في القرآن، ولم ينزل إلى ميدان التفسير مكتفياً بهذه القناعة اليقينية، ولم يقف آخرون عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى التفسير العلمي للأهداف التي أشرت إليها أولاً، ولا ضير في ذلك بل هو محمود إذا التزم بالضوابط والشروط.

الفرقان: العصر الحديث أطلق عليه بعض العلماء (عصر التفسير الموضوعي)، ودعوا إلى التوجه نحو هذا النوع من التفسير باعتباره يحقق الغاية من تفسير القرآن، وهي إصلاح الواقع على هدي القرآن ومنهجه. أما التفسير التحليلي أو التقليدي الذي يقوم على تفسير القرآن سورة سورة حسب ترتيب المصحف فيرون أنه لا يخدم هذا الهدف، ولا يصلح لهذا العصر. هل توافقونهم هذا الرأي؟

د. الرومي: نزل القرآن الكريم من لدن حكيم عليم، عالم بحاجات البشرية أجمع منذ نزوله إلى يوم القيامة؛ فضمّنه أوامره ونواهيته وأدلتة وبراهينه، وما فيه العلاج كل الشفاء كل الشفاء. ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم يشمل قضايا عديدة ومسائل كثيرة وأموراً لا تحصى عرض لها القرآن إما مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

ولذا أعتقد أنه لا يمكن الإحاطة بموضوعات القرآن وقضاياها؛ لأنها قضايا الكون كله والبشرية أجمع، لكن من الممكن أن تكتب البحوث الكثيرة في ذات الموضوعات، من غير أن نزع الشمول أو الإحاطة؛ فالتفسير الموضوعي بداية وليس له نهاية.

ولا يمكن أن تدرس قضية من قضايا القرآن الكريم في موضع إلا